ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. Fawaaz Ahmad Mohammad Salih

College of Arts
University of Mosul

Email:
fawaaz.ahmed.m@uomosul.edu.iq

Keywords:

Orientalism ,Angel, Andalusia, criticism

CC BY

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 2.Nov.2024

Accepted 5.Jan.2025

Published 25.Feb.2025

The Spanish Orientalism in a Critical Perspective : Andalusia Thought by the Orientalist Angel Gonzalez Palencia as a Case

A B S T R A C T

The Spanish orientalism is considered to be one of the distinguished oriental streams which provided great services to the Arabic Islamic Heritage in fields like Thought ,Literature , and Sciences as far as collection , indexing , editing , publication , researching ,and translation of books and manuscripts are concerned since the 12th C.AD. This is clearly significant in that period related to Moslems residence in Spain due to the fact that this historical era, being part of the present Spain, was prosperous scientifically and culturally adding a lot, not only to Spain, but also to Europe where people lived in the dark of Ignorance, backwardness , and barbarism .As compared to Arabic Islamic Culture , it was shining in the whole world spreading all aspects of science.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol58.Iss2.4162

الاستشراق الإسباني في الميزان النقدي كتاب تاريخ الفكر الأندلسي للمستشرق آنخل جنثالث بالنثيا أنموذجاً

أ.م.د. فواز أحمد محمد صالح

جامعة الموصل – كلية الآداب

المستخلص:

يعد الاستشراق الإسباني أحد أبرز التيارات الإستشراقية التي قدمت خدمات جليلة للتراث العربي الاسلامي في مجالات الفكر والأدب والعلوم تجميعاً وتكشيفاً وتحقيقاً ونشراً ودراسة وترجمةً منذ القرن الثاني عشر الميلادي ولا سيما ما يتعلق منه بالحقبة التي قضاها المسلمون في بلاد الأندلس؛ لأن هذه الحقبة التاريخية من عمر إسبانيا الحالية كانت مزدهرة علمياً وثقافياً وحضارياً وأعطت إشعاعاً قوياً لتلك المنطقة وصل مداه إلى عموم أرجاء أوربا التي كانت تتخبط عصرئذ في ظلمات الجهل والتخلف والهمجية على حين كانت الحضارة العربية الاسلامية تعيش أوجها مشرقاً ومغرباً وتنشر أنوارها على العالم أجمع .

الكلمات المفتاحية: الاستشراق ، أنخل ، الأندلس ، نقد .

اشكالية الاستشراق الاسباني :

الاستشراق الاسباني بحسب رأي المتخصصين بالتاريخ الأندلسي أول استشراق أوربي وُلِدَ على أرض شبه الجزيرة الايبيرية (أحمامو،٢٠١٨ :١٥)، وقد نشط الاستشراق الاسباني منذ مطلع القرن التاسع عشر وظهر التراث الأندلسي لأوائل المستشرقين الاسبان كنزاً ثميناً فأقبلوا عليه جيلاً بعد جيل يدرسونه ويقوّمونه مقدرين ما ينطوي عليه من الابداع والمعارف والعلوم (خوان غويتسلو،١٦٥:١٩٨٧) حيث بدأوا يتحسسون واقع إسبانيا الحضاري وتأثير الحضارة المدنية الاسلامية فيها، وكانوا قد استيقظوا من سباتهم بعد أن رأوا أن لا مناص من إعادة النظر في الآثار القديمة ويدعون لإصلاح الآثار الاسلامية المتبقية في قرطبة وطليطلة وغرناطة وأشبيلية لتكون مناسبة لمقام تاريخها العلمي والفني والاجتماعي (العقيقي،١٩٦٥: ١٧٣) وكذلك عدوا المخطوطات الأندلسية تراثاً لهم لذا أخذوا في ترجمة بعضها إلى الاسبانية ودراستها والإفادة من مادتها الغزيرة الأدبية والعلمية مثل تأليف ابن الفرضي(ت٤٠٣هـ) وابن بشكوال(٥٧٨هـ) والظبي(٥٩٩هـ) وابن الابار(٦٥٨هـ) (خوان غويتسلو،١٩٨٧ :١٦٥)

الواقع أن الاستشراق الاسباني عدة خصوصيات تميزه عن الحركات الاستشراقية في الغرب، منها احتكاكه المباشر بالثقافة الشرقية ممثلة بالأساس بالتراث العربي الاسلامي في بلاد الأندلس الذي شرع في بناء صرحه منذ القرن الثاني وتأثره منذ وقت مبكر وتناوله كثير من متونها الأدبية والفكرية والعلمية بالدرس والتحليل باعتماده جملة من الرؤى المنهجية الفعالة ولم يخرج دافع أهل الاستشراق الاسباني الأساس إلى الاحتفال بتلك الثقافة عموماً وبالتراث العربي الاسلامي في الأندلس خصوصاً عن الهدف الرئيس الذي يقبع وراء الاستشراق الأوربي والغربي بصفة عامة والمتمثل في وعيهم بضرورة استحضار الآخر لدى إرادة تحديد هويتهم ولا سيما أنه يشكل جزءاً لا يتجزأ من ذاكرة إسبانيا وهويتها الحضارية الممتدة كما يجب أن لا يغيب عنا أبدا بأن أي استشراق لا يمكنه أن يبتعد أبداً عن فكرة أوربا كما لا يمكن أن يُفْهَم من حيث كونه طلباً غربياً للشرق خارج إشكال الهوية الغيرية (أمعضشو ،٢٠١٦ : ١٧٣).

إن نظرة المستشرقين الاسبان أو غيرهم إلى التراث العربي الاسلامي بالأندلس لم تكن بالصورة المذكورة دائماً أي مبنية على الاعتراف الصريح بفضله العميم على إسبانيا وعلى أوربا كلها وقائمة على اعتبار ذلك الموروث الغني جزءاً أصيلاً من التاريخ الاسباني ولحظة من لحظات إشعاعه الفكري والثقافي ومحدداً مركزياً للذات الاسبانية وهويتها الحضارية المتميزة بل أن ثمة مستشرقين اسبانيين لهم نظرةٌ مخالفةٌ لهذا التراث تصل أحياناً إلى حد استصغاره وإنكاره على العموم، متغافلين أن التراث الأندلسي هو تراث مشترك بين العرب والإسبان ولكن الاشكالية تكمن في كون ذلك التراث الفكري الأندلسي لا يزال في نظر بعض من الاسبان لا قيمة له من جهة أخرى لاعتبارهم أنه سبب تخلف اسبانيا عن ركب الازدهار الحضاري الذي بلغته بعض نظيراتها من الدول الاوربية كألمانيا وبريطانيا.

ولا بد من الاشارة إلى أن اسبانيا تحتفظ بالكثير من المخطوطات العربية في مكتباتها الكبرى كمكتبة الأوسكر**يال** ومكتبة مدريد الوطنية ومكتبة جمعية الأبحاث الوطنية ، وأياً كانت ميول المستشرقين الإسبان وفئاتهم فإنها تنطلق من موقف ديني نصراني موحد وهو عدم الاعتراف الكامل بمساهمة الحضارة الأندلسية في النهضة الأوربية (موقع طريق الإسلام، نت).

وفي كل الأحوال فإن للاستشراق دوافع أساسية لهذه الظاهرة يمكن الاشارة لها وعلى عجالة وهي:

أولاً: دوافع دينية تنصيرية – ثانياً: دوافع سياسية استعمارية – ثالثاً: دوافع علمية صرفة .

ويمكن تقسيم رواد المدرسة الإستشراقية الاسبانية على ثلاثة أصناف :

أولاً : **مغرضون** : ونموذج هذه الفئة المستشرق (كلاوديو سانشين البرنوث) وله كتابان إسبانيا الإسلامية وإسبانيا الإسلامية والغرب .

ثانياً :**معتدلون** :نموذج هذه الفئة المعتدلة إمليو غرسية غومث.

ثالثاً :**منصفون** : وتتكون هذه المجموعة من الشبان الذين تخلصوا من عقدة نقاوة الدم ونذكر منهم أنطونيو غالا وغوشيولو وأنطونيو مولينا (رامون مايرأتان ،١٩٩٩: ١٠١) نموذج هذه الفئة المنصفة الأخوة كوديرا والذي من ضمنهم آنخل جنثالث بالنثيا.

تعريف بالمستشرق آنخل جنثالث بالنثيا :

ولد المستشرق آنخل جنثالث بالنثيا(١٨٨٩-١٩٤٩م) في مدينة سنتياغو بإسبانيا وتخرج من جامعة مدريد سنة ١٩١٠م، ثم اشتغل في هيئة أمناء المحفوظات وأمناء المكتبات والآثار في طليطلة ،حصل على منحة دراسية في الرباط- المغرب ثم أصبح مديراً لمدرسة الدراسات العربية في مدريد عام ١٩١٤م فكان أول اتصال حي بالعالم العربي (بالنثيا، ويكيديا: شبكة النت العالمية) حصل على الدكتوراه من جامعة مدريد في سنة ١٩١٥م بتحقيق كتاب تقويم الذهن لأبي صلت الداني(ت٥٢٩هـ) وفي سنة ١٩١٦م عين أستاذاً للعربية في جامعة مدريد بعد تقاعد أستاذه خوليان ريبيرا سنة ١٩٢٧م وأصدر في سنة ١٩٢٥ موجزاً لتاريخ أسبانيا الإسلامية (بالنثيا، ويكيديا: شبكة النت العالمية) أنتخب عضواً في عدة مجامع علمية عضو الأكاديمية الملكية بتاريخ ١٩٣٠م والأكاديمية الاسبانية الملكية وهو من كبار الاساتذة الاسبان المستشرقين في دراسة الأدب والفكر الأندلسي الإسلامي وبعد وفاة ميجيل أسين بلاثيوس في سنة ١٩٤٤،خلفه بالنثيا مديراً لـ مدرسة الدراسات العربية في مدريد، والتي سميت بعد وفاة أسين باسم معهد ميجيل أسين (المركز الاسلامي، شبكة النت العالمية) توفي بالنثيا في حادث سيارة وقع يوم الأحد ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٤٩م أثناء نزهة مع بعض أصدقائه في محافظة قونقة، مسقط رأسه. ونقلت جثته إلى مدريد، ودفن في أول نوفمبر بمقبرة مدريد؛ وهو في الستين من عمره .(جمال الدين، ١٩٨٠ : ٤٤١).

إسهامات المستشرق آنخل جنثالث في التراث االعربي والأندلسي : ومن آثاره وكتاباته (الموسوعة الحرة ،شبكة النت العالمية):

١- نشر تقويم الذهن لأبي الصلت الداني مع نصه العربي وترجمته الاسبانية في مدريد سنة١٩١٥م.
٢- تاريخ إسبانيا المسلمة نشر بطبعات عديدة منذ سنة ١٩٢٥م بمدريد .
٣- النصارى تحت حكم المسلمين في إسبانيا في أربعة مجلدات مدريد ، ١٩٢٦-١٩٣٠م .
٤- تاريخ الفكر الأندلسي وهو تاريخ الأدب العربي الأندلسي ترجمه ونشره الأستاذ الدكتور حسين مؤنس بالقاهرة سنة ١٩٥٥م .
٥- دراسات عن الاسلام والكوميديا الالهية سنة ١٩٢٥ م
٦- الإسلام والشعراء المنشدون سنة ١٩٣٣م .
٧- ترجمة حي بن يقظان لابن الطفيل ١٩٣٤م .
٨- مسلمو شمالي أفريقية والنصارى في العصر الوسيط نشره في مدريد سنة ١٩٤٥م .
٩- الجدل حول الموسيقى والشعر العربي نشره سنة ١٩٤٦م .
١٠- كتاب ألف ليلة وليلة نشر عنه في مدريد سنة ١٩٣١م .

ولابد من الاشارة إلى أن كتاب **تاريخ الفكر الأندلسي** يحتوي على معلومات أدبية تاريخية دينية فلسفية وسنسلط الضوء على الأمور الأدبية التي وردت في الكتاب وهو الحقل الذي نشتغل فيه أي أن البحث سيركز على رأي المستشرق الاسباني آنخل جنثالث بالنثيا ومعالجاته للأدب الأندلسي ونقد كتابه مبيناً أهم الخصائص الايجابية والسلبية في ذلك .

نقد العنوان:

يعد كتاب تاريخ الفكر الأندلسي ضمن الدراسات الشاملة لتاريخ التراث الأندلسي فهو مُؤَلَّف يتناول جوانب عدة حيث أفرد فصولاً في القراءات والتفسير والحديث والفقه وأصول المذاهب الفقهية والفلسفة والأدب والشعر والنحو والرياضيات ....الخ والجزء الذي يعنينا من هذا الكتاب هو الجزء الذي يتناول الشعر والأدب والخصائص التي تميز بها الشعر الأندلسي وأهم الآراء الأدبية التي دارت حوله.

لقد أصدر المستشرق الاسباني آنخل جنثالث بالنثيا كتابه **تاريخ الأدب العربي الاسباني** (بالنثيا، د. ت : ز) **-Historia de ia Literatura Arabigo Espanola-** في برشلونة عام ١٩٢٨م ثم أصدر الطبعة الثانية منه منقحة ومزيدة عام ١٩٤٩م.

ولدينا ملحوظات ثلاثة حول العنوان الذي وضعه الأستاذ حسين مؤنس :

الأولى: كلمة الأدب التي تعني عندنا معناها المحدد الآن وهي (المعارف التي من شأنها أن ترفع من مستوى الثقافة الذهنية وتؤدي الى تحسين سلوك الانسان في اجتماعهم بعضهم إلى بعض) (بالنثيا :د.ت : ١٦٩)،ثم تطور مفهوم الأدب مع مضي الزمن فأصبح (يطلق على الكتب التي تجمع المتفرقات والأشتات وتعرض من المعارف أطرافاً من كل فن وتكثر فيها لحكايات التاريخية والأقاصيص والنوادر والبراعات الذهنية) (بالنثيا :د.ت : ١٦٩)، ولكن الآداب لا تشمل العلوم وفي الوقت نفسه فإن الكتاب لا يقتصر على الأدب بل يتناول التاريخ والرحلات والفلسفة والتصوف والطب والنبات والفلك والرياضيات أي نواحي الفكر كلها. وهذا ما يجعلنا نرى أن **العنوان الاصلي الأول** غير مطابق مع فحوى الكتاب .

الثانية: إن الأستاذ حسين مؤنس قد استبدل لفظة **الأدب بالفكر إلى العنوان،** والفكر في العربية من الفِكْرِ والفَكْرِ بكسر الفاء وفتحها هو أعمال الخاطر والنظر في الشيء كالفكرة والفكرى بكسرهما جمعه أفكار (ابن منظور، د.ت: ٣٤٥١) وجاء في المعجم الوسيط بأنه أعمال العقل في المعلوم للوصول إلى المجهول (مجموعة مؤلفين،ج٢، د.ت:٦٩٨)، أما مفهوم الفكر **بالانكليزية Thoght وبالفرنسية pensee** يلفه شيء من الغموض؛ لأنه استعمل في معان متنوعة ومختلفة (ابن سينا، د.ت : ١١٩)ولكن وجدنا أن نظرة الأستاذ حسين مؤنس إلى الفكر بوصفه عملية يقوم بها الانسان بوساطة العقل وعليه فإن الفكر الذي يقصده هو ما أوجده الإنسان الأندلسي من أفكار وابتكارات وابداعات في المجال الحضاري الأندلسي فكان على الأستاذ حسين مؤنس أن يوضح ذلك وأن يذكر الاضافة التي وضعها للعنوان ليبين للقارئ ذلك.

الثالثة: نجد أن الدكتور حسين مؤنس الذي ترجم الكتاب ونقله من الاسبانية إلى العربية لم يكن ملتزماً بنص العنوان فجعله تحت عنوان **تاريخ الفكر الأندلسي** – وكان من الأمانة العلمية تقتضي عدم التصرف بعنوان الكتاب– ولكن على كل حال يبدو من خلال العنوان الأول المنطلق الذي تحكمت في الدراسات الإستشراقية الاسبانية هدفت إلى ترسيخ مجموعة من المفاهيم في ذهن المتلقي ومنها أن قيم الجدة والنبوغ في العطاءات الأندلسية لا يمكن فهمها إلا بالدم الاسباني فجعلوه إسبانياً دماً مغفلين أو متجاهلين أنه إسلامي الروح ،فالباحث المنصف سوف يدرك خطورة هذا التحوير في التسمية فلفظ الإسبان سوف يوهم أن حضارة الأندلس من صنع الأسبان سكان البلاد الأصليين أي النصارى ونحن بدورنا لا بد أن نوضح ما يلي: أن آثار هذه القضية مبثوثة في أبحاث الكثير من المستشرقين تتعلق بمفهوم الاسبانية

والأندلسية وربما يوحي الأمر لأول وهلة أنه يتعلق باضطراب في استخدام المصطلح لكنه يتجاوزه إلى المفاهيم حيث يعتقد ريبيرا صاحب النظرية القائلة بإسبانية أهل الأندلس أن الأندلسيين ابتداءً من الجيل الثالث أو الرابع على الأكثر لم يعودوا عرباً (بالنثيا، د.ت:١٤٢) وأن إسبانية تأسلمت لكنها لم تتعرب وتقوم نظرية خوليان ريبيرا على إبراز صلة الدم من ناحية الأم على اعتبار أن الطفل ليس مخلوقاً يتفرد الأب في التأثير في تكوينه بل الأم شأن كبير في ذلك أيضاً ثم يتطرق إلى زواج الفاتحين من الاسبانيات ويقيم نظريته على هذا الأساس فهو يرى أن أمراء وخلفاء الأسرة الأموية ابتداءً من عبد الرحمن الداخل(ت١٧٢هـ) يحمل نصف دم عربي على أساس أن أمه بربرية بقوله((كان عبد الرحمن الداخل ابناً لأمة بربرية وكان هشام الأول ابناً لأمة إسبانية أهدتها لأبيه ابنة يوسف الفهري وعلى نفس الطريقة يتوالى جميع أفراد هذه الأسرة)) (مصطفى،١٩٨٩ : ١٨٤–١٨٥) وهذا القول نجد له صداً عند تلميذه آنخل جنثالث بالنثيا بقوله في محاضرة ألقاها في المعهد الاسباني بقوله : (وحتى أمراء قرطبة ينحدرون من أمهات إسبانيات) (الطاهر،١٩٨٧ :١٧٤)ونتيجة لتلك النظرية فإن أهل الأندلس يصبحون عند ريبيرا وبلنثيا إسباناً ينتمون إلى الشعب الأوربي أكثر من انتماؤهم للشعوب السامية في الشرق ولهذا فهو يهمل في دراسته استخدام مصطلح أندلسي أو أندلسيون حين يتحدث عن حضارة الأندلس ومن ثم حين يدرس النصوص العربية فيترجم مباشرة كلمة الأندلس إسبانيا وهذا ما فعله بالنثيا وغيره من المستشرقين ويتصل بهذا الشعور القومي أن يرى بالنثيا التأثير الذي لعبه المولدون وهم الاسبان الذين اعتنق آباؤهم الاسلام في الحياة الاجتماعية وأسهموا في تطور البلد أدبياً واقتصادياً وكما حاول ريبيرا أن يكسب الحضارة الأندلسية إلى التراث الاسباني فعل بالنثيا الذي يستعير تشبيه ريبيرا في هذا الصدد ((مثل أن تصب قليلاً من الأنيلين في بركة ماء فليس ثمة شك في أن الماء سوف يأخذ لون الأنيليـن ولـكن طـبيعة تركيبه الكيميائي لم تتغير جوهرياً)) (الطاهر،١٩٨٧ :١٧٤)، وقد ناقش عدد من الباحثين هذا الموضوع ونرى أن في استخدام لفظة إسبانيا تجاوزاً إذ لا يمكن أن تكون بديلاً عن لفظة الأندلسية التي تقترن بالفتح الاسلامي وامتداد حكم المسلمين في إسبانية والبرتغال مدة ثمانية قرون، ومن المواطن التي حصل فيها هذا الخلط أن بالنثيا نقل وصف ابن حزم الأندلسي(ت٤٥٦هـ) تتعلق بوطنه حيث يقول :(ابن حزم الأندلسي،٢٠١٠ : ٩٣)

وَيَـــا جَـوْهَـــرَ الصْيـْنِ سُـحْقَـاً فَـقَـدْ غَـــنَـــيْـتُ بِـيَـــاقُـوْتَـــةَ الأَنْـدَلُـــسِ

وفي الغالب فإن الكثير من المستشرقين ينطلقون في تحليلاتهم إلى ذاتهم الغربية دون الرجوع إلى المصادر المشرقية في ذلك فقد قال غرسية غومس وأيده بذلك بالنثيا بقوله : **(ولقد كان إسبانياً خالصاً)** (بالنثيا ، د.ت : ٧٦) وذهب دوزي وجولد سهير إلى القول بأن جده أو والدة جده لم يكن عربياً ولم يولد مسلماً وإنما اعتنق الاسلام (إحسان عباس ، ٢٠١١ : ٢٤٦)، ورجح آخرون أن أصله من جهة الأم إسباني ،(أحمد أمين ، ج٣ ،١٩٦٦ : ٢٥) وما نراه هو من بيوتات العرب وهو ما يؤكده في جمهرته(ابن حزم الأندلسي،ج٣، ١٩٨٢: ٥٦) أصح بنسبة نفسه ويؤكد هذا الرأي ابن خلدون(ت٨٠٨هـ) بقوله (إن رواية ابن حزم أصح؛ لأنه أوثق) (ابن خلدون،ج١٩٧١،٦ :٨٩) في حين يذكر التراث الذي أضافه الإسبان يشعر بالزهو؛ لأن هؤلاء الذين خلفوا هذه الروائع التي تربى عليها المفكرون الغربيون وجعلوا من إسبانيا أرقى دول أوربا ثقافة هؤلاء كانوا من جنسنا وليس عدلاً أن نجردهم من إسبانيتهم لمجرد أنهم كانوا مسلمين ، وواضح من عبارة بالنثيا كيف أنه يغلب النظرة الجنسية العرقية على العقدية في الانتساب لهم فهم أجداده ويتجاهل الحضارة التي أنتجت على أيديهم لا يمكن أن تعزل عن الإسلام إلا عزلاً متكلفاً ، ولكن التأويل سيختلف حتماً حين ينظر إلى أحفاد هؤلاء الأجداد الذين في أجداده السابقين دخلاء على إسبانيا ويخضعون لحملات التنكيل ويصبح أحفاد الجيل الأول من أجداده المورسكيين ضحية تستمر الظلامية ثلاثة قرون بعد سقوط دولة الإسلام منذ القرن السادس عشر حتى التاسع عشر فهل سيكون عدلاً تجريدهم من إسبانيتهم لمجرد أنهم كانوا مسلمين ؟! (بالنثيا، د.ت:٥٠٧)ويتكرر هذا الاستخدام في مواطن أخرى من كتاب تاريخ الفكر الأندلسي حيثما تحدث عن الأدب الأندلسي فإنه يستخدم الأدب الاسباني وأحياناً يستخدم

لفظة الشعر الأندلسي ولكنه حين يفصِّل الحديث يعود إلى استخدام اللفظة البديلة الاسباني أو إسبانيا (بالنثيا، د.ت:١٨ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٥٧ ، ٦٠)،أو قوله (الأدب الاسباني العربي) (بالنثيا، د.ت:٢٦)ونجده في موضع آخر يقول (الأدب العربي الأندلسي) (بالنثيا، د.ت:٢٧) ويكفي أن نقول إن احساس الأندلسيين بعروبتهم لو تعرض للتلاشي فإن احساسهم بالحفاظ على أنسابهم كان تلاشى أيضاً؛ لأن العجم لا تكترث بهذه الظاهرة وما كان ابن حزم يعنى بوضع كتاب جمهرة أنساب العرب ولو كان ابن حزم إسبانياً كما يدعي ريبيرا ومن تبعه من المستشرقين أمثال بالنثيا لوجب عليه في أقل تقدير ان يضع كتاباً يسميه جمهرة أنساب الأسبان .

نقد المنهج:

ينتمي المستشرق الإسباني آنخل جنثالث بالنثيا إلى المدرسة التي أسسها فرنسشكو كوديرا (١٩١٧-١٨٣٦) الذي يعد في طليعة من عرف بإنصافه للحضارة الاسبانية في الأندلس وهو صاحب المقولة المأثورة (إن من الخطأ العمل على أوربة إسبانيا بل الواجب تعريب أوربة وعلى إسبانية أن تسترد دورها القديم في هذا التعريب) (الشكعة ،١٩٨٥ : ٢٨٣) وفضلا عن جهوده في نشر المكتبة الأندلسية في عشرة مجلدات فإن من أتباعه أربعة اطلقوا على أنفسهم **(الأخوة بني كوديرا)** يكون بالنثيا الثالث من هؤلاء الاخوة (بهجت ،١٩٨٨: ٣٨) ، وتبدو جهود المستشرقين واضحة في الاتجاه العام الذي سلكه أمثالهم بنشر النصوص القديمة وتحرير الدراسات التاريخية الحضارية والأدبية التي تركزت على الأندلس بوصفها الميراث الحضاري لإسبانية وفي ضوء ما أتيح للبحث من دراسة هذا الباحث الذي ترجمت أعماله إلى العربية نستطيع أن نشير إلى جملة من **خصائص منهجه في كتاب تاريخ الفكر الأندلسي** فقد حاول المستشرق الإسباني أن يجمع بين الإيجاز والشمول على نحو قلما نجد له مثيلاً وجاء الكتاب فريداً في بابه فما نظن أن لدينا كتاباً يقاربه في تاريخ الفكر الإسلامي المشرقي مثلاً بل ما نظن أن أحداً أقدم على مثل هذه المحاولة فلم يكن من الميسور وضع مؤلف شامل، بيد أن الايجاز الشديد لم يلبث أن أضرَّ بالكتاب فإن الاشارات القصية لا تقنع والاكتفاء بالضروري كل ذلك انتهى بأن جعل الكتاب ملخص موجز عسير على القارئ عسيرة على الباحث ثم أن عدم ذكر المراجع وايراد النصوص دون إشارة ولو تقريبية إلى أصلها والاكتفاء باللمحات عن العبارات وافتراض المعرفة السابقة عند القارئ الأمر الذي أفقد الكتاب الصفة الأكاديمية وحسن المرجعية على الرغم من كثرة المصادر التي استفاد منها وكل ذلك وقف بالكثيرين عن الاستعانة بالكتاب وصرفهم عن ذكره بين مراجعهم رغم اعتمادهم عليه ومن هنا فإننا نجد أن هذا المستشرق لم يتبع خطة البحث الأكاديمي حيث كان من المفترض أن يسند كل إشارة أو رأي إلى صاحبه أو يوضح ويفسر ويستخلص ولكن هذا لم يحدث إلا في مواطن قليلة من الكتاب.

و كما يمتاز علاوة على الشمول بثقافة الاعتدال في الرأي والإنصاف في الحكم وبعد عن الهوى والعصبية يجعلك تتصور في بعض الفقرات أنك تقرأ لكاتب عربي منصف وإنصافه لا يقوم على الألفاظ بل على عرض الحقائق فقد سلك في كتابه سلوكاً علمياً دقيقاً يقوم على الجهد والعمل والصدق والتحقق وهي صفات امتاز بها هذا العلامة الاسباني الذي عاش عمره كله قارئاً كاتباً باحثاً محققاً ولكن هذا لا يمنع من وجود الهفوات فالكمال لله عز وجل وحده كما ولا بد أن نشيد بالجهد القيم الذي اضطلع به الأستاذ حسين مؤنس بترجمة الكتاب في عهد مبكر من تاريخ الدراسات الأندلسية باستثناء ما تخوَّنه من نقص في التعليقات التي حال دون خروجها ؛وذلك لاتساعها كما ذكر المترجم فوعد بإخراجها في صلة لم يُقَدَّر لها أن ترى النور إلى يومنا هذا ووجود هذه الهوامش والتعليقات أمر مهم لمتتبع الدراسة فقد تجاوزت الاحالات إلى الهوامش في الفصل المتعلق بدراسة الشعر الثلاثمائة .

لقد عمل المستشرق الاسباني أنخل جنثالث بالنثيا مثل غيره من المستشرقين على معالجة موضوعاته إنطلاقاً من الذات الثقافية الغربية من دون أن يتزحزح قيد أنملة عن التركيز عليها والتمحور حولها سواء بوصفه معرفة تاريخية أو من

حيث كونه طلبا لثقافة أخرى كما تقدم ،فلم يغير المستشرق آنخل جنثالث من منهجه في الكتاب في تناوله للآراء التي تخص الأدب الأندلسي بل ظل يستمد في معظمها من آراء أستاذه ربيرا أو تلميذه غرسية غومس ويلاحظ الدارس أمراً طريفاً في حقل الدراسات حيث نجد بالنثيا الأستاذ يفيد من آراء تلميذه في طبعته الثانية لكتابه والمألوف هو العكس مما نستنتج معه مدى اعتزاز الأستاذ بآراء تلميذه الذي كان أصيلاً في كثير منها إلا أن من السلبيات التي وقع بها المستشرق آنخل جنثالث أنه أخذ من تلميذه أغلب الآراء التي طرحها تلميذه غرسية غومس دون التمحيص النقدي الدقيق لتلك الآراء وسنأتي إليها في موضع لاحق من هذا البحث، ولكن على الرغم مما اعتوره من الثغرات والمآخذ وافتقارها إلى الاضافات النقدية إلا أن الكتاب يعد من المراجع المهمة في الدراسات المختصة بالشعر الأندلسي .

نقد أحكامه النقدية التي تختص بالعصور الاندلسية :

وينساق بنا الحديث عن عدد من التفسيرات التي أطلقها بالنثيا للعصور الأدبية ومن ذلك حديثه عن عصر المنصور بن أبي عامر(ت٣٩٢هـ) فيشير إلى شيوع الشعر الغنائي في بلاطه والديوان المعد لذلك ويعدد عدداً من الأدباء الذين أحاطوا به كما يشير إلى دور بضعة فقهاء مالكيين وبضعة مؤرخين ويخلص إلى أن عصره لا يمتاز بأي شخصية من الطراز الأول في ميدان العلوم والفنون وهو حكم ينطوي على عدم الدقة؛ لأن دارسي عصر المنصور لا يشيرون إلى نوع من الخمول في عصره ومما يعزز ذلك أن بالنثيا في موضع آخر يتحدث بتفصيل عن النشاط الأدبي في عصره ويمكن أن يعلل هذا الموقف إلى نظرة الاسبان التراثية إلى شخص مثل شخصية المنصور بن أبي عامر فقد كتب على قبره عبارة بالإسبانية **توفي المنصور وألحد في جهنم !** (السرجاني ،شبكة النت الدولية).

ومن التفسيرات العلمية الجيدة لحركة النشاط الأدبي في عصر الطوائف ما ذكره بالنثيا أن عصري الامارة والخلافة كانا بمثابة فترة إعداد طويلة في كل فرع من فروع الدراسات واختمرت اختماراً طويلاً كذلك أن علماء قرطبة غادروها أثناء الفتنة وانتشروا في شتى نواحي الأندلس والتفسير من أوفق التفسيرات فيما أراه وهي كثيرة في تعليل ازدهار الحركة الأدبية في عهد الطوائف وتأتي عبارته صريحة جداً عند حديثه عن خصائص الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ((لقد أصبح أهل الأندلس كلهم شعراء)) (بالنثيا، د.ت:٧٨) بعد أن وصف عواصم الأندلس بأنها تحولت إلى بغدادات صغيرة وكثيرة، إلا أنه يتهمه بالتقليد الأعمى لشعر المشرق عند حديثه عن شعراء الأندلس عامة فيقول ((ومضى الأندلسيون في المدائح على نهج من تقدمهم من الشعراء)) (بالنثيا، د.ت:٤٦) أو عند حديثه عن شعراء بعينهم كحديثه عن ابن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٨هـ) وكتابه العقد الفريد فيقول عن الكتاب ((أكبر مظهر لتبعية الأندلس الفكرية للشرق)) (بالنثيا، د.ت:١٧٢)، وقد أوضح الدكتور منجد مصطفى بهجت الغاية التي من أجلها أُلف الكتاب ومنها تعريف أهل الأندلس بأهل المشرق والعكس، وتقوية ثقة أهل الأندلس بأنفسهم وأنهم قادرون إلى التوصل إلى ما وصل إليه أهل المشرق (بهجت، ١٩٨٨ :١١٣).

في حين نجده في موضع آخر متزناً في رأيه عند حديثه عن عصر بني الأفطس في معرض حديثه عن الرثاء فيقول: ((والمراثي التي تتفاوت في الروح وصدق الاحساس فتجدها تارة فاترة متكلفة كما نرى في رائية ابن عبدون في رثاء بني الأفطس وتارة صادقة مؤثرة كما في نونية أبي البقاء الرندي(ت٦٨٤هـ) في بكاء الأندلس وما أصاب بلاده على أيدي النصارى وأصدق ما لدينا من هذا الضرب ما قاله المعتمد (ت٤٨٨هـ) في منفاه يبكي نفسه وما أصابه من زوال ملك ونفي)) (بالنثيا، د.ت:٤٦) وكما قلنا في موضع آخر من البحث أن المستشرق آنخل جنثالث بالنثيا يعتمد على عملية البناء والهدم في أحكامه النقدية ففي موضع آخر من كتابه نجده يمجد من رائية ابن عبدون في رثاء بني الأفطس بقوله: ((وتنم أبيات القصيدة عن علم واسع واطلاع متبحر .....وقد كانت غزارة مادتها دافعة بالكثيرين إلى وضع المؤلفات في شرحها والتعليق عليها)) (بالنثيا، د.ت:١١٩) ثم يقوم بالنثيا بعملية الهدم بقوله عن القصيدة ((...وهو يجهد القارئ ويبعث

إلى نفسه الملل بما يلجأ إليه من **اللعب بالألفاظ** وما يستعمله من الأخيلة العسيرة التصور .....وعلة ذلك أن ابن عبدون لم يألم ألماً صادقاً لما حل ببني الأفطس....والبون شاسع بين هذا الحزن الفاتر المصطنع، وبين العواطف الصادقة المؤثرة التي تتجلى في قصائد المعتمد بن عباد الأخيرة)) (بالنثيا، د.ت:١٢٠) وفي موضع آخر يقول: ((وهي قصيدة رصينة الصياغة إلا أنها فاترة الروح مدرسية المنهج)) (بالنثيا، د.ت:١٦)، لقد ظلم المستشرق آنخل جنثالث نص ابن عبدون(ت٥٢٩هـ) فأضفى عليه صفة (اللعب بالألفاظ ، استعماله للأخيلة) وماذا يكون الشعر إن خلا من تحاسين البديع واشتغال الصنعة وماذا تقول في شعر أبي تمام (ت٢٣١هـ) والبحتري(ت٢٨٤هـ)والمتنبي(ت٣٥٤هـ) وشعراء الصنعة المعاصرين ألم يكن البديع والخيال نتاج العصر والحضارة والعمق والتفنن؟ ويكفي الوصف الذي ذكره عبد الواحد المراكشي(ت٦٤٧هـ) الذي قال في وصفها إنها ((قصيدته الغراء، لا بل عقيلته العذراء، التي أزرت على الشعر، وزادت على السحر، وفعلت في الألباب فعل الخمر، فجلَّت عن أَن تُسامَى ،وأَنفت من أَن تُضَاهَى، فقلَّ لها النظير، وكثُر إليها المشير.....)) (المراكشي، ١٩٦٣ :١٢٨-١٢٩) وعند حديثه عن عصر المرابطين نجده يعقب على قول دوزي الذي يقلل من شأن هذا العصر أما خوليان ريبيرا فإنه يذهب بالاتجاه المعاكس لما يذهب إليه دوزي ،مؤيداً رأي ريبيرا في ذلك بقوله والكلام لبلنثيا ((..... نعم إن الواقع أن شعراء هذا العصر لم يتفوقوا على غيرهم، ولكن الواقع كذلك أن فنوناً أدبي كبرى وصلت إلى أرفع درجات تطورها خلاله...)) وهذه النظرة المعتدلة تتبعها نظرة ايجابية عن عصر الموحدين بقوله((ولم يتوقف تقدم الآداب في أثناء ذلك كله ..." وكذا تلك النظرة الايجابية للعصور الأخيرة من الأندلس ومن ذلك قوله " وظل مستوى الثقافة رفيعاً في مملكة غرناطة ...)) (بالنثيا، د.ت:٢٣)على الرغم من انحسار دولة الاسلام في الأندلس .

نقد أحكامه النقدية التي تختص بالشعراء الأندلسيين:

ربما إذا قلنا أن الأحكام التي أطلقها بالنثيا بأنها أحكام ارتجالية غير مبنية على استقراء أو تتبع ولاسيما بعض تلك الأحكام التي اطلقها من خلال الموازنات التي أجراها على بعض الشعراء فالمستشرق بالنثيا حين تحدث عن منزلة ابن هانئ(ت٣٦٢هـ) السامقة في الأدب يقول ((وعلى الضد من استهتار ابن هانيء نجد الزبيدي(ت٣٧٩هـ) ...يميل الى الحكمة والزهد)) (بالنثيا، د.ت:٦٤)؛ إذ لا وجه لمثل هذه الموازنة على الرغم من تقارب عصريهما إذ لا نستطيع أن نقيس بضعة أبيات من شعره، وزعم أنها لأبي نواس(ت١٩٩هـ) فلم يشك الناس أنها للحسن بن هاني (بالنثيا، د.ت:٥) ولدى تتبع هذه الرواية فإننا نجد ابن دحية(ت٦٣٣هـ) قد انفرد بها في كتابه وهي رواية مبنية على التكلف والتصنع وتنبثق من منطلق الدفاع عن أهل الأندلس وإنزالهم منزلة رفيعة بيد أن شعر ابن دحية أن لأهله ظالمون ولم يكن في روايته موثقاً وأكثر ما كان ينقله عن تمام بن علقمة(ت٢٨٣هـ) في تاريخه وهي تختلف عما جاء عند الحميدي(ت٤٨٨هـ) والضبي(ت٥٩٩) من أن سعيد بن أحمد أحد الاندلسيين رحل إلى المشرق فلقيه بعض الأدباء بمصر فقال لا تخفى أشعاركم إلى جانب أشعارنا كما لا يخفى البد في سواد الليل ثم أنشد سعيد أبياتاً للغزال(ت٢٥٠هـ) نسبها إلى الحسن بن هاني(ت١٩٩هـ) فلما أعجب بها المصري قال له :إن الشاعر الأندلسي هو الغزال(ت٢٥٠هـ) فرد ذلك وأنكره حتى صح له فخجل أظهر التفضيل ولم يراجع بعد في أشعار أهل الاندلس وهكذا تحرَّفت الرواية عند ابن دحية ولا سيما إذا علمنا أنه كان يملي من حفظه وأنه كان بعيداً عن مصادره. ونجد في بعض الأحيان يعتمد في أحكامه النقدية التي يصدرها بشأن الشعراء الأندلسيين يعتمد على منهج البناء والهدم أي بمعنى أنه يمتدح الشاعر ثم ينتقص من قيمة الشاعر ذات (بومدين هشام ،٢٠١٩ : ١٣٢)كالذي نراه في أحكامه التي أصدرها الشاعر الأندلسي ابن عبد ربه الاندلسي(ت٣٢٨هـ) وفيها اكبار واضح للشاعر(بهر العيون بمدائحه) (بالنثيا، د.ت:٦١) ولكن لا يلبث أن يقول فيه ((ولم يكن ذا شاعرية ممتازة سواء من قصائده الطوال التي تحدث فيها عن الحملات السنوية التي قام بها الناصر أو في مقطعاته التي قالها في بني أمية) (بالنثيا، د.ت:٦٢) فإذا جرّد الشاعر من شاعريته في الطوال والمقطعات التي قالها في الناصر وبني أمية فأنى له

أن يبهر العيون بمدائحه، ومن المزالق التي اتصلت بحديثه عن ابن عبد ربه أن بالنثيا تصور أشعاره في ديوان اسمه((**الممحصات**))اتبع فيه كل قطعة غزلية بأخرى في الحكمة والزهد (بالنثيا، د.ت:٦٣) وهي في حقيقة الأمر أشعار قالها ينقض كل قطعة في الصبا والغزل محصها كالتوبة منها والندم عليها إذ الممحصات قصائد محدودة نظمها في آخر حياته يعارض فيها أشعاره التي قالها في مطلع حياته (ابن عبد ربه الأندلسي، ١٩٩٣ : ٢٧).

ويتفق الموقف عند أبرز شاعر زاهد في القرن الخامس الهجري وهو أبو إسحاق الألبيري(ت٤٦٠هـ) فقد صوره بالنثيا بأنه ذا طموح سياسي ففسر ثورته على ابن النغرالة اليهودي(ت٤٤٩هـ) ؛لأنه لم يدرك في بلاط غرناطة المركز الذي يرى نفسه أهلاً له (بالنثيا، د.ت:١٠٨) ولم أجد في كتب التراجم إشارة الى هذا الطموح كما لا تشير أشعاره إلى ذلك ،كما أننا لا نوافق بالنثيا على وصفه ابن خفاجة(ت٥٣٣هـ) شاعر شعراء الغزل الأندلسي وكان من الأجدر أن يقول من أهم شعراء الطبيعة لا الغزل (بالنثيا، د.ت:١٠٨) وعلى الرغم من تلك المآخذ التي تلف كتاب تاريخ الفكر الأندلسي إلا أننا نجده منصفاً ودقيقاً في مواضع أخرى من الكتاب كالذي نراه حين يتحدث عن ابن الخطيب(ت٧٧٦هـ) كشخصية فريدة من نوعها في مملكة غرناطة (بالنثيا، د.ت:١٣٨) وعند حديثه عن مؤلفاته مع ابداء رأيه وحكمه عليها وكذلك في المعلومات التي يوردها ويخلص إلى أن هذه المعلومات صحيحة ودقيقة في الغالب وكما أنها تعد مرجعاً أوثق في معرفة مملكة غرناطة مع وصفه لابن الخطيب الذي يكاد يكون آخر كاتب عظيم أنجبه الأندلس الإسلامي (بالنثيا ، د.ت:٢٥٩) وكذا بالنسبة للشاعر ابن زمرك(٧٩٦هـ) وحديثه عن جمالية شعره (بالنثيا، د.ت:١٣٩-١٤١) في وصف قصور الحمراء في غرناطة .

نقد موازناته :

وتأتي ضمن هذا الاطار موازنة أجراها بين شاعرين هما أبو إسحاق الألبيري (ت٤٦٠هـ) والآخر ابن حزم القرطبي (ت٤٦٣هـ) وعلى الرغم من أن كلاً منهما أفقاً مستقلاً فإنهما يلتقيان عنده من عدة وجوه هي عدم الانسجام مع عصر ملوك الطوائف فكلا الرجلين ينتمي إلى طبقة الفقهاء ولو أنهما ينتميان إلى مذهبين فقهيين مختلفين فأبو إسحاق مالكي وابن حزم ظاهري كلاهما نظم شعراً زهدياً وكلاهما يجمع بينهما حميا مناهضة اليهود وكان العنف في التعبير وجفاء الشخصية شيئاً مشتركاً بينهما في العبقرية الأدبية يرجح فيها جانب ابن حزم وإذا كان قد أصيب كلاهما بخيبة أمل فإن خيبة ابن حزم كانت صادقة، أما خيبة أبي إسحاق الألبيري فعلى النقيض إنها هجران مكره لا يزال ينبض به الحنين مركبة من رغبات مكبوتة ومن ظمأ لم يروض نفسه على مذاقه .

وعند حديثه عن أبي إسحاق الألبيري فيقول((...وكان (أي أبي إسحاق الألبيري) مغيظاً؛ لأنه لم يدرك في بلاط غرناطة المركز الذي كان يرى نفسه أهلاً له وزاد من حنقه أن يوسف بن النغدلة أمر بنفيه من غرناطة، فأنصرف إلى النسك والزهادة)) (بالنثيا، د.ت:١٠٨) لقد حمل حملة شعواء على أبي إسحاق الألبيري وفسر جانباً كبيراً من أشعاره الزهدية تفسيراً نفسياً فيه صورة من الفشل والتعويض فقد عاش أبو إسحاق قلقاً مكروباً مضطرباً أيام شبيبته مشرداً يجوب ممالك الطوائف الصغيرة الفاسدة والغارقة في الملذات تمزقها الخلافات الحادة انعكس كل ذلك في أفكاره متعطشاً لجمع المال ولعله لم يزهد في الغنى إلا بعد أن أخفقت جهوده وخاب مسعاه فلم يتسل عن رغائب شبابه المتأججة ولا عن آماله الطامحة في المجد والقوة وقد آلت إلى الفشل والخيبة واضح التكلف في تفسير شخصية أبي إسحاق الألبيري وهذا التفسير كثيراً ما يتكرر مع أمثال الألبيري مثل أبي العتاهية(ت٢١٣هـ) وليس من الديوان ما يدل على هذا التفسير .

ويتفق وصفنا لهذه الأحكام الموازنة على أنها أحكام ارتجالية غير مبنية على استقراء أو تتبع وبعض الموازنات التي أجراها بالنثيا حين تحدث عن منزلة ابن هانئ السامقة في الأدب (بالنثيا، د.ت:٨) يقول (وعلى الضد من استهتار ابن هانئ نجد

الزبيدي) يميل الى الحكمة والزهد إذ لا وجه لمثل هذه الموازنة على الرغم من تقارب عصريهما إذ لا نستطيع أن نقيس استهتار ابن هانئ بحكمة الزبيدي؛ لأن الأول غزير النتاج والثاني مقله ولا تكاد تجاوز أشعاره ثلاثين بيتاً .

ومثلما تقدم الكلام فإن الموازنة لا تصح بين شاعر كابن زيدون(ت٤٦٣هـ) والحميدي (ت٤٨٨هـ)العالم الأديب فلا وجه لأن يحمل ابن زيدون(ت٤٦٣هـ) شاعرية الحميدي على حد قول بالنثيا (بالنثيا، د.ت:١٤) ولا تكاد تلم بجمع مثل جمع ابن حصن (ت٤٣٠هـ) وابن حمديس (٥٢٧هـ) وابن زيدون (ت٤٦٣هـ) وابن اللبانة (ت٥٠٧هـ)حيث يرجح ابن عمار (ت٤٤٩هـ) عليهم جميعاً وفيهم المقل والمكثر مما لا تصح الموازنة فيها على الاطلاق (بالنثيا، د.ت:١٥) وينسب حكماً نقدياً فحواه أن ابن زيدون أصبح مثلاً يحتذى به من جاء بعده من الشعراء ينسبه إلى ثلاثة هم ابن رشيق القيرواني(ت٤٥٦هـ)وابن صارة الشنتريني(ت٥١٧هـ) وأحمد المقري(ت١٠٤١هـ)(بالنثيا، د.ت:٨٦) فإذا صَحَّت نسبة هذا الرأي إلى ابن رشيق والمقري الناقدين المعروفين فإننا لا نعرف لابن صارة شاعر المقطعات القصيرة كتاباً نقدياً فلا يصح أن يقرن بهما .

وبعد أن استعرضنا جملة من هذه الموازنات بين شعراء الأندلس والمشرق العربي نشير إلى أن المستشرقين كانوا يعقدون مقارنات بين شعراء الأندلس والشعراء الغربيين وهي مقارنات تميل إلى الايجاز والحكم السريع دون تفصيل أو توسيع في الموضوع فقد شبه ابن دراج القسطلي(ت٤٢١هـ) بالشاعر الاسباني جنجرة (بالنثيا، د.ت:٦٥-٦٦)؛وذلك لأن كليهما كان شاعراً معقداً عسير الفهم (بالنثيا، د.ت:٦١) ثم يقارن بين شاعرين أندلسيين هما ابن خفاجة (ت٥٣٣هـ)وابن الزقاق(ت٥٢٨هـ) اللذين يرى فيهما الذروة العليا للشعر القديم المجدد مثلهما مثل جنجرة في الأدب الاسباني وليس بعدهما إلا تقليداً أو انحداراً (بالنثيا، د.ت:١٢٤) وقصيدة لابن زمرك(٧٩٣هـ)خالفت أسلوب الجمال عند جنجرة ووافقته في أنها لون من الجبر الثقافي وتنعقد المقارنة من جديد بين ابن حزم ودون كيخوته الشاعر الاسباني ويرفض بالنثيا بعض الأحكام النقدية القائمة على هذا الأساس فلا يرى وجهاً للمقارنة بين ابن زيدون وتيبولوس الشاعر اللاتيني فقد عاشا في عالمين مختلفين وكان تهور ابن زيدون وعنفه يبعده عن حلاوة تيبولوس ورقته (بالنثيا، د.ت:٨٦) وإذا استساغ بعض شعراء إسبانية نقل نونية أبي البقاء الرندي(ت٦٨٤هـ) إلى الشعر الاسباني (بالنثيا، د.ت:١٣٢) فإن الفرق يبقى قائماً بين القصيدتين إذ إن الأصل العربي بعيد عن قصيدته كما يرى ذلك بالنثيا مخالفاً رأي فاليري في ذلك .

نقد أحكامه النقدية التي تختص بالشعر الأندلسي:

ومن الأحكام النقدية التي تخضع للنقاش حكم أصدره غرسية غومس وتابعه في ذلك آنخل جنثالث بالنثيا والتي يريان فيها أن الشعر الأندلسي نبع من بحر الشعر المشرقي متغافلين بأن الشعر الأندلسي ليس منفصلاً عن الشعر العربي بل هو جزء منه وامتداد طبيعي له (الربيعي، ٢١٨ : ٤٢) ومن ثم يتهجمان على الشعر الأندلسي فكراً ونظرية وخيالاً فيقول غرسية غومس وأيده بالنثيا في ذلك فيقول الأول ((ولا بد أن ننبه من أول الأمر إلى أن الشعر الأندلسي عامة فيما خلا بضع شواذ فقير جداً من الناحية الذهنية التفكيرية ومن دلائل ذلك أن الناحية التي تأثروا بها من المتنبي(ت٣٥٤هـ)كانت ناحية البراعة لا ناحية التفكير وعاشوا أعمارهم كلها مكبلين بقيود القوالب الشكلية الجامدة ومن ثم لم يستطيعوا أن يدخلوا على الشعر التغيير إلا أشياء تمس المعاني صوراً جديدة عن طريق تقطيرها في أنابيق بلاغية وأوغلوا في ذلك حتى استخرجوا منها تلك الزخارف الشعرية التي تشيه أن تكون قصور حمراء لفظية فإذا كانت القصائد الأندلسية المنمقة المترفة المعقدة المثقلة على هذه الدرجة من البعد عن الترتيب الذهني بل عن الاحساس الانساني في أحيان كثيرة فمن الطبيعي أن تنقصها تلك المرونة السائغة التي نجدها في الشعر القديم)) (بالنثيا، د.ت:٤٢) ومن البداية يقرر بالنثيا مع تلميذه غومس إلى أن الشعر الاندلسي فقير فكرياً بعيد عن الاحساس الانساني وما خرج من هذين

الوصفين سبب هذا الحكم أن الشعراء الأندلسيين ويشمل الشعراء المحدثين المشرقيين لم يغيروا شيئاً من الشعر سوى أنهم كَسَو المعاني حللاً جديدة من الأخيلة والصور بالغوا في تجميلها وهذا أحد أهداف الشعر الفنية ولكنه يصوغه صياغة مغالطة ويلفها بالإثم ويغلو في تضخيمه وتجريده من الحياة ويصوره زخارف شعرية معقدة تبهر العين ولكنها لا تلج إلى القلب ومعنى هذا أن الصياغة الفنية الغنية بالأخيلة هي التي تجعل الشعر الاندلسي فقيراً فكرياً معدماً إنسانياً فيقول بالنثيا ((ولم يكن هذا الشعر الأندلسي مترعاً بالأخيلة فحسب بل كان مثقلاً بما حمل منها فوق ما يطيق ، بل بلغ من حشد المعاني فيه أن استعصى معظمه على الحفظ والبقاء وكان يعسر على الفهم الكامل، وكما يحدث لشجرة مثقلة بالثمار إذ تسقط عنها الثمرات واحدة فواحدة ،فكذلك وقع للشعر الأندلسي لم يبق لنا منه إلا ما اقتطفه مصنفو كتب المختارات من تشبيهاته ومعانيه وإذا نحن استثنينا بضعة دواوين وقصائد مشهورة وصلت إلينا كاملة، فإن ما لدينا من الشعر الأندلسي قد وصل إلينا مقطعاً ومبتسراً بل مطحوناً يتألق هشيمه الدقيق ببريق الماس)) (بالنثيا، د.ت:٤٣) لقد ظلم بالنثيا بهذا الحكم العام الشعر الأندلسي ،وفي موضع آخر يرى بالنثيا أن الشعر الأندلسي ((مرتبطاً في الغالب أشد الارتباط بحياة الشاعر نفسه فهو صادر عن وحي أحساس اللحظة التي قيل فيها وهو إنما كان يرسل ارتجالاً عن المألوف من صور الشعر السامي القديم)) (بالنثيا، د.ت:٤٩) وقد علق الدكتور سعد إسماعيل شلبي عن ذلك بقوله:((حقيقة لا يرق الشعر الأندلسي في معانيه إلى مستوى الشعراء العباسيين الذين اتصلوا بالثقافات الأجنبية وأفادوا منها وحاكوا تصوراتهم البعيدة ولم تمتلئ أشعارهم بالحكم كما امتلأت أشعار بعض المشارقة لا سيما شعراء العصر العباسي الثاني فقد وضحت فيما سبق أن شأن هذه الدراسات أن تكون خاصة لا عامة وأن يضطهد القائمون عليها وألا تظهر آثارها إلا في شعر قلة من الشعراء)) (شلبي ،١٩٧٨: ٣٨٨) ، ويقع هذا المستشرق الكبير في مزالق التناقض في اندفاعه السريع نحو تجريد الشعر الأندلسي من كل المزايا وقلب مزاياه نقائص وعيوباً إذ يضيف هنا فقراً عاطفياً على الفقر الذهني ويتبعه بفقر في الخيال وتكرير للصور في أهم الأغراض الشعرية، وفي موضع آخر يقول بالنثيا ((ولم يُظْهِر الأندلسيون براعة ذات بال في الشعر السياسي أو الحماسي ولم يوفقوا كثيراً في شعر الحكمة والتهذيب أما شعرهم الديني فتنقصه حرارة العاطفة وهم ينتقلون فيه من الوعظ المبتذل إلى وجد الصوفية)) (بالنثيا، د.ت:٤٦) فمن خلال تلك الآراء نستطيع أن نقول بأن نظرة المستشرق آنخل جنثالث بالنثيا لم تكن صائبة ولا دقيقة ولا متسقة ولم تخرج في مجملها عن نظرات المستشرقين إليه في تلك المرحلة، كما أن شعراً بمثل هذه النعوت ليس جديراً بأن يقف عليه الباحثون وتوقف الأقلام عليه فلماذا عكف عليه المستشرقون واختصوا به وتخصصوا له ومن الغريب كذلك أن المترجم الدكتور **حسين مؤنس** على علو كعبه في مضمار الأدب الاندلسي ينقل هذا الرأي وأمثاله وما هو أقسى منه إلى اللغة العربية من دون تعليق عليه .

ومما سلكه المستشرق آنخل جنثالث بالنثيا في تفسير مظاهر العصر أنه افترض شيوع الخمرة وشرب الموسيقيين لها في طول الأندلس وعرضه وذلك بسبب الثروة الضخمة في الخمريات التي خلفها شعراء الأندلس والأخبار الكثيرة المتواردة في الخمر ومجالس الشرب والشعر (بالنثيا، د.ت:٤٤) وإن كان مصدراً وثائقياً فإنه لا يصح الركون إليه بشكل مطلق ومثل هذا الحكم يتجاهل الأغراض الشعرية الأخرى التي تمثل الوجه الآخر للشعر .

ويتصل بشعر الخمرة ما قيل في شعر الغزل وحدوده الحسية على رأي غومس أن الجانب الحسي في المرأة العربية كان غالباً ومهيمناً على أشعارهم ويمضي في هذا المذهب بالنثيا وفي موضع آخر يرى أن الشعراء يعرضون مشاهد عن الحب الحسي بعد سهر عربيد مسرف في الاستمتاع، وهما يغفلان بل يتجاهلان من أن مبعث شعر الغزل لم يكن حقيقياً دائماً تبعثه الشهوة وإنما هناك نوع من الغزل بعثت عليه القوة الفنية في الشعر وأن الغزل الماجن كان في بعضه مبعثه التخييل، ولكن بالنثيا في موضع آخر يجرد الأندلسيين من الشهوانية في شعر المجون وينسب وجه العفة إلى النماذج المسيحية التي يمكن أن يراها في الحياة رهبان الأديرة على نحو ما لاحظ بلاثيوس ويسوق نماذج شعرية لسعيد بن جودي (ت٢٨٤هـ) والرمادي(ت٤٠٣) وصفوان وابن فرج(ت٣٦٦هـ) (بالنثيا، د.ت:٥٧-٥٨) وكذلك يتبع بالنثيا المستشرق دوزي

عندما يتحدث عن تولع ابن حزم بالهوى العذري إلى الطبع المتأصل في جنسه معللاً كلا المستشرقين من **أن** ابن حزم ينحدر من أصل نصراني (بالنثيا، د.ت:٢١٣) وهو تفسير فيه إهمال لمصادرنا الاسلامية التي كان لها الأثر الكبير في توجيه الغزل وقد نقض الأستاذ آسين بلاثيوس رأي دوزي هذا وأتى بأمثلة كثيرة من هذا الحب العذري والعفة الزوجية عند مسلمي الأندلس في نفس العصر الذي عاش فيه ابن حزم.

الخاتمة وأبرز النتائج

النتائج العامة :

١-إن جل الدراسات التي درست الظاهرة الاستشراقية الاسبانية كانت ذات رؤية قاصرة لم تتجاوز عتبة الوصف والتجميع المعجمي ذي الطابع المدرسي ولم ترق إلى مجال التحليل والنقد العلميين فبقيت سجينة رؤية تقريضية تسجل للمستشرقين ما لهم وما عليهم .

٢-إن معالجة إشكالية الاستشراق في مختلف الدراسات يجب أن تتم بعيداً عن الانزواء داخل منهجية الانتماء المللي العقدي؛ لأن الهدف الأساس هو النفاذ إلى إشكالية الاستشراق والحفر في مكوناتها وآلياتها التي تسمح بوجودها .

٣-السعي وراء وضع تقسيم وتصنيف جديد للمستشرقين الإسبان من حيث الموضوعية والاعتدال والاعجاب والتحامل والتميز وذلك من خلال تصوراتهم ونظراتهم إلى هذا التراث الفكري فالكثير منهم يحسب من الموضوعيين والمعتدلين إلا أن هذا الاعتدال يتخلله بعض التناقض واللف والدوران فتجده يصب في العاطفة الدينية والقومية .

٤-قلة الدراسات حول هكذا موضوعات تتناول نتاجات المستشرقين بالدرس والتحليل بعد أن كان معظم هذه الدراسات لا تتجاوز مقالات منشورة في مجلات علمية تتميز بالسطحية وعدم الغوص والتوسع والاكتفاء بالأمور العامة كدراسة سيرة مستشرق وأهم مؤلفاته ومنشوراته .

النتائج الخاصة

١-إن معظم الآراء والأحكام النقدية التي أطلقها المستشرق آنخل جنثالث بالنثيا قد انبثقت من المنظور الغربي الذي يعكس ذوقه الأدبي.

٢- وقع المستشرق آنخل جنثالث بالنثيا أسيراً لأراء أستاذه ريبيرا وآراء تلميذه غرسية غومس،مما أدى إلى ظهور ضعف في شخصية الكاتب .

٣-الايجاز الشديد الذي أضرَّ بالكتاب،فإن الاشارات القصية لا تقنع والاكتفاء بالضروري عن الأهم وبالأهم عن المهم كل ذلك انتهى بأن جعل الكتاب خلاصة جافة عسيرة على القارئ عسيرة على الباحث .

٤-على الرغم مما اعتور الكتاب من الثغرات والمآخذ وافتقاره إلى الآراء النقدية الخاصة بالمستشرق آنخل حنثالث واعتماده على آراء غيره ،فإنه من الكتب المهمة والمفيدة فهو لا يخلو من الاتزان في معلوماته أو معالجاته الموضوعية ونرى أنه من المراجع المهمة للدراسات الأدبية المختصة بالشعر الأندلسي.

المصادر والمراجع

- أخبار القراء وأعيان الكتاب : عبد الواحد المراكشي (ت٦٤٧هـ) ،تحقيق:محمد سعيد العريان، الجمهورية العربية المتحدة ، لجنة إحياء التراث الاسلامي،١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.
- الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ، منجد مصطفى بهجت، دار ابن الأثير ، العراق ، الموصل ، د.ط، ١٩٨٨ .
- الاستشراق الاسباني والتراث العربي الاسلامي بالأندلس ميغل آسين بلاثيوس نموذجاً، د.فريد امعضشو، مجلة دراسات استشراقية ، ع/٧ ، س/٣ ، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
- الاستعراب الاسباني في المغرب خوصي ماريا لورشندي نموذجاً ١٨٣٦م-١٨٩٦م.
- الاشارات والتنبيهات : ابن سينا ، تحقيق : سليمان دينا ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، د. ت .
- أنخل بالنثيا ويكيديا الموسوعة الحرة ، بحث منشور على شبكة الانترنت الدوليةhttps://ar.wikipedia.org/wiki .
- البيئة الأندلسية وآثارها في الشعر عصر ملوك الطوائف: تأليف :د. سعد إسماعيل شلبي ، دار النهضة ، مصر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٨م .
- تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر من أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: عبد الرحمن محمد بن خلدون ، الحضرمي المغربي (ت٨٠٨هـ) ،مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م .
- تاريخ الفكر الأندلسي :المقدمة : ز ،آنخل جنثالث بالنثيا ، نقله عن الاسبانية :حسين مؤنس ، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د، ط، د. ت .
- تاريخ-الأندلس-والدراسات-الاستشراقية-الإسبانية ،بحث منشور على شبكة الانترنت ، موقع طريق الاسلام. https://ar.islamway.net/article .
- التراث الفكري الأندلسي في نظر المستشرقين الاسبان: أطروحة دكتوراه مقدمة من قبل الطالب :نمر بومدين هشام ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية ، الجزائر ،١٤٤٠هـ-٢٠١٨-٢٠١٩م .
- جمهرة أنساب العرب : أَبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٨٢ م .
- دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة : حرر بعضها وترجم البعض الآخر: د. الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٧م .
- ديوان ابن حزم الأندلسي : ابن حزم الأندلسي، جمع وتحقيق : عبد العزيز إبراهيم ، دار صادر ،بيروت ، ط١ ، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م .
- ديوان ابن عبد ربه الأندلسي مع دراسة لحياته وشعره: حققه وشرحه : د. محمد التونجي ، الناشر: دار الكتاب العربي ،بيروت، لبنان،ط١،١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- ظهر الاسلام: أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٦٦ .
- عبد العال أحمامو، مجلة دراسات استشرقية ،ع/١٦ ، ٢٠١٨م.
- في الاستشراق الاسباني : خوان غويتسولو، ترجمة : كاظم جهاد ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧م .
- قضايا النقد الأدبي في الأندلس والمغرب تنظير وتطبيق : أ.د. أحمد حاجم الربيعي،دار غيداء، الأردن ، ط١ ، ٢٠١٨م.

- لسان العرب : جمال الدين أبو الفضل بن محمد المصري ابن منظور(ت٧١١هـ-١٣١١م) ، تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرون، طبعة: ج ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، د.ت .
- ما أسهم به المستشرقون الاسبان في الدراسات الأندلسية الاسلامية : د. محسن جمال الدين ، مجلة المورد ،ع / ٤ ، مج/٩ ، ١٩٨٠م.
- المستشرقون ، نجيب عقيقي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٦٥م .
- المستشرقون ،المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية ، بحث منشور على شبكة الانترنت الدولية .
- مسيحي في مكة، رامون مايرأتان ترجمة : علي العباسي ، ورفعت عطفه ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩م .
- المعجم الوسيط: قام باخراجه :مجموعة من المؤلفين ، دار الدعوة للطباعة والنشر ،تركية ، د.ط ، د.ت.
- المنصور بن أبي عامر المجاهد الذي لا يهزم ، أ.د. راغب السرجاني ، بحث منشور على شبكة الانترنت.
- مواقف المستشرقين من الحضارة الاسلامية في الأندلس : مصطفى الشكعة ، مكتبة العربي ، طبع بمطابع جامعة الدول العربية ، ١٩٨٥م .
- الموسوعة الفلسفية : تأليف :لجنة من العلماء الأكاديميين السوفياتيين ، تحت إشراف : رونتال يودين ، ترجمة : سمير مكرم مراجعة : صادق جلال العظم وجورج طرابيشي ، دار الطليعة ،بيروت ، د.ت .
- نظرية ريبيرا حول عروبة الأندلس: د. عدنان مصطفى ،حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، ع/١٢ ، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م .
- نماذج من التراث الموسيكي المكتوب: أ.د: جمعة شيخة ، مجلة دراسات الأندلسية، العدد :٤٣ ، رجب ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠ م.